فاعلية برامج الأطفال التلفزيونية
في تنمية الميول القرائية

الأستاذة: مصمودي دليلة
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

الملخص: إن المتأمل لبرامج الفضائيات العربية يلمح تنوعها بين الجيد والرديء، سواءً من حيث المضمون أو من حيث اللغة المبثوثة، فهي عالم متعدد الخيارات يضمن لك حرية الاختيار إلا أن الشيء المؤكد هو أن التلفاز بفضائياته يملك قدرة هائلة تعمل على تنمية الثقافة والمعارف الشخصية للفرد، كما تعمل على تنمية الميول القرائية ومهارات الطفل الفكرية واللغوية.

Abstract : The mediator of the Arab satellite programs can elude diversity between good and bad, both in terms of content and of language broadcasts. It is a multi-options world that can guarantee you freedom of choice, but the sure thing is that the TV with all its channels has an enormous capacity for developing culture and knowledge profile of the individual; further, is also working on the intellectual development of the child's skills and language.

لقد خاضت الدول الغربية مجال تعليم اللغات من خلال استخدام التلفاز، حيث قامت هيئة الإذاعة والتلفاز البريطانية تجربة في شكل سلسلة من البرامج التمثيلية لعائلتين آسيويتين والهدف هو تعليم اللغة الإنجليزية للآسيويين المتواجدين في إنجلترا والعاملين فيها، وأنتجت برامج ومسلسلات قاربت 24 برنامجا للمتحدثين باللغة الهندية والبرتغالية، وثبت أن حوالي 60% من الآسيويين يتابعون هذه السلسلة من البرامج بانتظام، وقد استفادوا منها بشكل كبير في تعلم اللغة الإنجليزية[1].

وما كانت إنجلترا لتكلف نفسها لو لم تعلم علم اليقين النتائج الباهرة التي ستحققها هذه البرامج التلفازية في تلقين مهارات اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها، فما الحال ونحن عرب نشاهد فضائيات ناطقة باللغة القومية التي نتكلم ونفكر بها.

ونظرا للخصائص الإعلامية التي يمتلكها التلفاز وقنواته، سارعت دول عدة لاستغلال هذه الوسيلة في المجال التربوي والتعليمي، واستحدثت ما يسمى بالتلفاز التعليمي.

وقد قامت دولة مصر بخطوة عملية من خلال تخصيصها لقنوات تعليمية لتدريس اللغة العربية إلى جانب المواد العلمية الأخرى موجهة للمراحل التعليمية كافة[2].

فللتلفزيون قدرة فعالة في تعليم اللغة ومهاراتها، وهذا ما أكدته دراسة أقيمت على أمهات أمريكيات أقررن أن أبناءهن يستفيدون من التلفاز كوسيلة تسلية وأداة من أدوات الاستثارة، وفي دراسة أخرى أقرت الأمهات أن التلفاز يزيد من قدرة أطفالهن اللغوية وخاصة في المفردات[3].

كما أكدت دراسة أخرى وبنسبة تجاوزت 72% إلى أن الأطفال يستفسرون عن بعض الكلمات والمصطلحات التي لا يعرفون معانيها، وبعض الأسئلة التي ترد في البرامج التلفازية[4].

وأشارت دراسة أخرى أن التلفاز يساعد الطفل في تعلم النطق، وتنمو لديه اللغة في العمر الواقع بين ثلاث سنوات وأربع حيث يفهم 20% من مسار الأحداث المشاهدة[5].

وسأحاول من هذا الموضع حصر بعض البرامج التي تبثها القنوات العربية ويمكن لها أن تعمل على تنمية الميول القرائية و مهارات الطفل الفكرية واللغوية .

وقبل التفصيل في هذه البرامج أريد الإشارة فقط إلى تقنية الصورة التي تعتمدها الفضائيات العربية إلى جانب الصوت في بث برامجها والتي لها من الفاعلية ما لا يمكن تجاهله.

ووجود صورة أو رسم يمثل موضوعا ما يسهم في إحداث تصور كلام مكتوب تتضمنه تلك الصورة، فهذه الصورة تجعل المتلقي قادرا على تصور الموضوع بشكل عام بل تفصيلي أحيانا، ومن هنا تظهر أهمية الصورة التي تعرض الموضوع وتبين معالمه وأحداثه[6].

واقتران الصوت بالصورة يعطي الرسالة معناها النهائي، فالصورة نوع من الاستثارة والتخيل تفتح المجال للطفل لبناء الأفكار، واعتماد البرامج التلفازية هذه الثنائية (الصوت والصورة) فيه نوع من التحفيز في تعليم الأطفال المهارات المعرفية واللغوية على حد سواء.

وقبل تحليل البرامج التي يمكن لها أن تعمل على تنمية المهارات اللغوية بصفة عامة سأتحدث بصفة خاصة عن مهارة تعد من أهم المهارات والتي يرى الدارسون أن البرامج التلفازية لها دافع كبير في تنميتها ألا وهي القراءة.

ففي "بترسبورغ" مثلا أعطي الأطفال دروسا تلفزيونية ناجحة في القراءة لها ثلاثة أهداف[7]:

1. الإثارة لإيجاد رغبة في القراءة بين الأطفال.
2. تعليم مهارات القراءة. كيف تقرأ بسرعة؟، وكيف نتصفح السطر والصفحة.
3. تحسين مهارة النطق بالكلمة والنحو واستخدام القاموس.

ولإثارة الاهتمام عملت البرامج التلفازية على تقديم الكتب بشكل جذاب، وذلك بإعطاء عرض عن الكتاب وما يحويه بشكل يستثير المتلقي ويحفزه على قراءته[8].

وهناك من يرى وجود علاقة تكامل بين التلفاز والقراءة، وذلك من خلال علائق أخرى بين هاتين الثنائيتين[9]:

- **علاقة التعويض:** حيث يقوم التلفاز بدور تعويضي لبعض الوظائف والإمكانيات التي لا توفرها القراءة، أو تعجز بعض الفئات على إدراكها بالقراءة، كما يمكن أن يشبع حاجات تربوية وثقافية كمساعد للقراءة، ومن هذه الأدوار التعويضية (للتلفزيون) تعويض الفئات غير القارئة، وتعويض القصور في المقدرة القرائية.

- **علاقة التكامل:** تلفت الصفحة المطبوعة الأنظار إلى البرنامج التلفازي وتقوي الآثار التي يتركها في المشاهدين، كما يعمل البرنامج التلفازي على فتح الطريق لقراءة الصفحة المطبوعة ويبعث الحياة في رموزها.

- **علاقة التشجيع:** حيث أكدت بعض الدراسات أن التلفاز يقوم بتشجيع القراءة لدى الكبار والصغار، كما لوحظ أن التلفاز قد أدى إلى ترويج كثير من الكتب بما ناقشه عنها وما ناقشه من موضوعات وردت فيها، كما اتضح من دراسة أخرى أن التلفاز قد أثار ميول القراءة من خلال إخراج الكتب على شكل مسرحي.

- **علاقة المنافسة:** وتعني أن يحتل التلفاز مكان القراءة، وهذا يتوقف على مجموعة من العوامل، من أهمها: مدى قوة أو ضعف الميول القرائية لدى المشاهدين.

يضيف "بوعلي نصير" في هذا الشأن أن احتلال المشاهدة التلفازية لوقت القراءة والمطالعة مقرون بعوامل أخرى تتمثل في غياب الكتاب المتخصص، غلاء سعره، انعدام الميول القرائية لدى أفراد المجتمع، وهي عوامل فردية ليست لها علاقة بتأثير المشاهدة[10].

وفي الحقيقة إن البحث في أساليب ترغيب القراءة للطفل يبدأ من القدوة القارئة الممثلة في الوالدين والمحيط الأسري، ثم المدرسة، انتهاء باستغلال الوسائل التكنولوجية لصالح هذا الغرض[11].

فاستغلال الوسائل التكنولوجية من بينها التلفاز هو الاحتمال الأخير، ولكن الأمر الذي لا اختلاف فيه هو أن الأطفال الذين يشاهدون برامج تلفزيونية جيدة من حيث التخطيط والإعداد يمكن أن توجد حال الدافعية في حياة الطفل، وتوجهه وتشحذ القدرة القرائية عنده بتزويده بخلفية عريضة، وإيضاحات متعددة، وتشجع على التعلم الاستقلالي وتستثير الشغف والاهتمام والحماس، وتنمي المزيد من البصيرة المتجددة، والميل الدائم إلى الاستكشاف[12].

ولا تكتفي هاته البرامج الجيدة بتنمية مهارة القراءة فحسب، بل تعمل على تنمية باقي المهارات اللغوية الأخرى، ومن بين هذه البرامج نجد:

1. البرامج التعليمية: وتأتي هذه البرامج على شكل سلسلات غالبا، تعمل من خلال مضمون حلقاتها على تنمية مهارات الطفل بشتى أنواعها، وتحاول مخاطبته باللغة

البسيطة والأسلوب السهل، قصد تعليمه قيما علمية وأخرى اجتماعية، كما تختص بتعليم اللغة العربية لأبناء هذا المجتمع، نذكر من بين هذه البرامج.

- **برنامج "افتح يا سمسم"**:أعد برنامج "افتح يا سمسم" نسخة عن البرنامج الأمريكي "*sesame street*" وذلك سعيا من الهيئة المشرفة على تحقيق أثر إيجابي فيما يستقيه الطفل العربي من لغة تلفزيونية سليمة، وقد جرى إعداد برنامج "افتح يا سمسم" ناطقا باللغة العربية الفصيحة[13].

وقد اختير في أثناء إعداد هذا البرنامج أطفال من الكويت وعمان والقاهرة وتونس، وأجريت عليهم تجارب لغوية، وعلى ضوء هذه التجارب أمكن الوصول إلى لغة يفهمها الطفل العربي، وأمكن مخاطبته بلغة يفهمها ويتفاعل معها بكل اندفاع وحماس[14].

وقد أثبت هذا البرنامج فاعليته حيث أوضحت نتائج دراسة أقيمت في مصر أن الأطفال يفضلون مشاهدة هذا البرنامج لأنه يعلمهم الحروف والأرقام، كما يحثهم على القراءة، وقد أكدت الأمهات أن أطفالهم يشاهدون هذا البرنامج دائما، ويتعلمون منه الكثير خاصة الحروف والأرقام ومفردات اللغة[15].

وأقيمت دراسة أخرى أظهرت نتائجها أن المشاهدة المتكررة لهذا البرنامج تنتج عنها معارف و إدراكات أكبر إضافة إلى تحسن في اللغة، حيث أنه يثير استجابات لفظية أكثر خاصة بين الأطفال أثناء مشاهدة البرنامج.

ومن أهم مكاسب مشاهدة هذا البرنامج إدراك الأطفال للكلمات والحروف والأرقام، وإدراكهم للكلمات المطبوعة[16].

ويعد برنامج "افتح يا سمسم" برنامجا تعليميا ترفيهيا موجها لأطفال ما قبل المدرسة، وبينت البحوث التي أجريت حوله أنه يحدث نوعا من التعلم الذي يكتسب نتيجة لمشاهدة هذا البرنامج مثل التعرف على الكلمات الكاملة أو القدرة على كتابة أسمائهم كما تزيد درجة التحصيل المعرفي عندما تشارك الأم الأطفال في مشاهدة البرنامج، وتناقشهم في معلوماته، أي عندما تكون بيئة المنزل إيجابية للمثيرات التعليمية التي يعرضها البرنامج[17].

فلكي تكتمل الفائدة التعليمية التي يصبو إليها البرنامج لا بد من عنصر فاعل في البيئة المحيطة بالطفل، وهو يشاهد برامجه، يقوم هذا العنصر بتكملة هدف البرنامج من حيث الشرح والتفسير إلى جانب الدعم المعنوي.

- **برنامج "مدينة القواعد"**: برنامج تعليمي يهدف إلى تعليم اللغة العربية وقواعدها بأسلوب ترفيهي مبسط، وتدور أحداثه حول تلميذ لا يفقه اللغة، ولا قواعدها، ويكثر من الأخطاء النحوية، فينصحه البعض بزيارة مدينة القواعد التي تحوي شوارع عديدة، كل شارع يمثل بابا في النحو، وترافقه في رحلة تصويب اللغة "الآنسة قواعد" تعمل كموجه له في درب البحث عن آلية النطق الصحيح للغة، وتتخلل البرنامج مواقف

فكاهية إلى جانب ركن للمواعظ والحكم والأشعار العربية الفصيحة، ويعتمد البرنامج في تعليم اللغة على الجانب الكتابي والجانب النطقي مع تركيز شديد على أدائهما.

هذا إلى جانب برامج أخرى تعتبر جيدة من حيث المضمون والهدف، وهو الشأن ذاته مع البرامج التي تبثها قناة " المنار" والتي تحاول الرقي بثقافة الطفل ولغته، ويلاحظ ذلك في المجموعة البرامجية المتنوعة التي تعدها لهذا الغرض ومن بين برامجها:

-المنار الصغير: وهو برنامج إخباري للأطفال يقدم بالفصحى الخالصة، وله دور تعليمي يهدف للتنشئة الإسلامية.

-مواهب المنار الصغير: وهو برنامج تنافسي تعليمي يهدف إلى تنمية قدرات الأطفال في المجالات الإبداعية المختلفة مثل الشعر، الرسم، القراءة.

-في سلتي حكاية: برنامج دمى يؤدى بالفصحى للأطفال، حيث تقدم في كل حلقة قصة من روائع الأدب العالمي.

-ألو.. الصغار: وهو معد بطريقة تعليمية تشجع الأطفال على التواصل باللغة الفصحى،حيث يعمد مقدم البرنامج إلى مساعدة الأطفال المتصلين هاتفيا على التكلم باللغة العربية وبأسلوب بسيط يحاول تحبيب هذه اللغة إلى أبنائها.

وتسير قناة"الجزيرة للأطفال" على نفس الدرب الذي خطته قناة"المنار"من ناحية الجودة في استعمال اللغة في برامج الأطفال.

وهو الحال ذاته مع قنوات "النيل" التعليمية التي تسعى جاهدة لتثبيت أسس اللغة العربية واستعمالاتها للأطفال في مراحلهم العمرية المختلفة.وعمدت في ذلك على برامج متنوعة من حيث المضمون والشكل.

2. القصص التلفازية:تقوم القصة التلفازية الموجهة للأطفال على أساس حكاية، وتتخذ أنواعا عدة، منها ما يقوم على أساس موضوع من التراث الشعبي (الفلكلور المحلي أو الأجنبي) أو على أساس قصة المؤلف الخاصة[18].

وتأتي القصص التلفازية على شكل رسوم متحركة أو تمثيليات أو مسرحيات، كما تتنوع هذه القصص بين العالمية من الموروث العالمي (قصة بياض الثلج، سندريلا، البؤساء) أو الموروث العربي (شهرزاد، السندباد البحري، علي بابا). إلى جانب قصص الخيال العلمي وحروب الفضاء.

وتحمل هذه القصص سواء أكانت مدبلجة أم منتجة محليا رصيدا مهما من اللغة، كما تجعل الأطفال يألفون لغتهم العربية، ولا يجدون حرجا في فهمها خصوصا إذا اقترن اللفظ بالصورة، وتمتلك القصة سحرا كبيرا في شد انتباه الطفل، ويقظته الفكرية والعقلية، وتحتل المركز الأول في الأساليب الفكرية المؤثرة في عقل الطفل لما لها من متعة ولذة[19].

وتؤدي القصة التلفازية وظائف عدة من بينها[20].

1. تؤدي القصة أهدافا وغايات إعلامية وتعليمية وسلوكية منشودة، فهي معلم جذاب ومحبوب يأخذ عنه الأطفال كثيرا من ضروب التعليم والسلوك والمعرفة والثقافة كما يكسبون منه خبرات حيوية طريفة.
2. تعتبر القصة من خير العوامل لتشويق الطفل إلى التعليم واكتساب السلوك الحسن مع تحبيب المطالعة والمشاهدة.
3. تهذب القصة التلفازية الوجدان النفسي وترهف الحس لدى الطفل، كما تشحذ الذاكرة لأن الطفل يختزن في ذهنه القصص التي يختارها ويقدمها له الإعلامي الحاذق، وكذلك أشخاصها وحوادثها أكثر مما يختزن من الأحداث العامة.
4. القصة المختارة إعلاميا وتربويا لها آثارها التعليمية والخلقية والسلوكية والثقافية ينتفع بها الطفل، دون إحراج لأنه يستطيع فهم مغزاها بطريق الإيحاء والتأثير الذاتي لا بطريق النصح السافر أو التوجيه المباشر.
5. القصة من أنجع الوسائل للتعليم، خصوصا تعليم اللغة الأم، وغيرها من اللغات الأجنبية فهي تزود الأطفال بالأفكار والمفردات والأساليب التي يختارها الإعلامي والتربوي الناجح كما أنها تعوده على حسن الاستماع ودقة الفهم، وتعلمه حسن الأداء وتصوير المعاني، وهي كذلك من العوامل الناجعة في دفع الطفل إلى القراءة وحب الاطلاع والمطالعة، فالقصة بعضها من الأدب العالمي تحفز الأطفال على البحث عن الكتاب وقراءته، حيث أثبتت الإحصائيات العالمية أن الإقبال على شراء الكتب يزداد عقب مشاهدة الرواية أو القصة مسرحيا أو تلفزيونيا أو إذاعيا[21].

وقد ساعدت قصص المسلسلات على ترسيخ اللغة الفصحى لدى الأطفال إذ إنها أدخلت اللغة العربية الفصحى خارج إطار المدرسة أو الواجب المدرسي، فلقد دارت ضمن حكايات وعلى لسان أبطال محبوبين، ولذا دخلت عقولهم وقلوبهم معا، وأصبحوا يرددونها بجمالية وسهولة، ومنذ سن مبكرة، إضافة إلى المسلسلات التي تدور في عالم المغامرات والتشويق والمسلسلات العلمية أو ذات الطابع التعليمي التي تمت دبلجتها إلى العربية لكنها تعمل على ترقية لغة الطفل[22].

وتحضرني في هذا المقام تجربة ذاتية، ففي سنواتي الأولى المبكرة عرض التلفاز الجزائري مسلسل مصري عنوانه "صعاليك لكن شعراء" كان حول السيرة الذاتية لكل من الشنفرى ورفاقه في الدرب.

ورغم أن أحداثه دارت باللغة العربية الفصيحة مجلجلة بأشعار الجاهليين إلى أنه استهوى شريحة الأطفال في ذلك الوقت، حيث عايشنا الأبطال وحركاتهم وحاولنا

الاستفسار في العديد من المرات عن كلمات شغلت بالنا، كنا نلقى في بعض الأحيان إجابات وافية، وفي بعضها الآخر تجاهلا من طرف العائلة في الإجابة لكونهم لا يعون المعنى الحقيقي للكلمات، ومن بين الأمور التي شغلت بالي اسم بطل (تأبط شرا) لم أجد إجابتها إلا في الطور الجامعي إلا أن المغزى العام من ذلك المسلسل أو القصة كنا قد استوعبناه رغم لغته الفصيحة التي كانت في أواخر الثمانينات من هذا القرن مغمورة.

وتشير الوقائع الميدانية أن الأطفال قد تعلموا من البرامج الموجهة إليهم على شكل قصص أو حكايات تقنية السرد إلى جانب عملية ترتيب الأحداث طبقا لوردوها ضمن التسلسل المنطقي الذي حدثت فيه، كما أن إتقان السرد يفضي إلى تنمية القدرة التعبيرية ومعناه أن إتقان السرد سيجعل الأطفال يتقنون الحديث عن قضية معينة أو حدث معين بسهولة ويسر، دون أن يجدوا صعوبة في هذا المجال[23].

وتهتم الفضائيات العربية كثيرا بهذا النوع، فتجد الرسوم المتحركة بمختلف توجهاتها كما تجد السلسلات التعليمية (كقصص الأنبياء) إلى جانب التمثيليات والمسلسلات.

3- الأغاني والأناشيد المصورة: يميل الأطفال ميلا طبيعيا منذ طفولتهم المبكرة إلى الإحساس بالنغم والإيقاع والموسيقى، ويتلذذون بسماعه لدرجة أنهم وهم في المهاد يتأثرون بالألحان التي تبدعها الأمهات و يستجيبون لها، وينسجمون معها تلقائيا، ويهتزون طربا لها[24].

والأغنية أو الأنشودة عبارة عن قصيدة شعرية تحكمها قواعد اللغة وتجليات الصورة الشعرية والتقنيات الفنية المتمثلة في موسيقى الوزن والقافية، وجرس الكلمات، فالأغنية أو النشيد قبل كل شيء نص مرتل وفق أنغام ودرجات صوتية وضوابط موسيقية، وتمتاز الأغنية بالبساطة وجمال الإيقاع والانسياب، وخروجها عن التراكيب الشعرية الصعبة، كذلك تشتمل الأغنية على الصور البسيطة القابلة للترديد والتكرار[25].

وتمتاز الأغاني والأناشيد الموجهة للطفل بلغة سهلة بسيطة واستخدام جمل أكثر بساطة مع استخدام للجمل الاسمية للطفولة المبكرة[26].

فنشيد الطفل وأغنيته عبارة عن موضوع أو فكرة تمثل صورة من صور الإبداع الفني التعبيري، تصاغ بأسلوب لغوي به دليل أن الموسيقى أقوى العناصر التأثيرية في النشء[27].وبلوغ النشوة في الأغنية إنما يعتمد على عدد من العوامل من أهمها:[28]

- كلمات الأغنية.
- لحن الأغنية.
- جاذبية المؤدي للأغنية.

❖ موضوع الأغنية

تعد الأغنية جذابة وتبعث على المتعة عندما تشتمل على كلمات بالغة الدلالة، وفي الوقت نفسه تتسم بالوضوح والبساطة، وبخلافه لا تعد الأغنية باعثة على المتعة إذا كانت كلماتها غير بالغة الدلالة، وغير واضحة.[29]

وفيما يتصل بلحن الأغنية نجد أن انتقاء اللحن المناسب يضفي جاذبية على الأغنية مما يساعد على ذيوعها وانتشارها بين جمهور أكبر، وبالنسبة لجاذبية المؤدي للأغنية فإنها تتقرر استنادا إلى مظهره الخارجي، أو إلى الحنجرة الغنائية التي يتمتع بها ،فإن كان مظهره الخارجي على قدر من الجاذبية كان أدعى إلى جذب الانتباه إليه، وإن كان مظهره الخارجي يفتقر إلى الجاذبية فمن المناسب للمؤدي أن يعوض ذلك بحنجرته الغنائية التي تطرب الآذان، وعند ذلك يجذب الانتباه إليه، وأخيرا الموضوع الذي تدور حوله الأغنية إذ يعد عاملا مهما لبلوغ النشوة لدى المستقبل، فإن كانت الأغنية تركز على الوعد والوفاء والإخلاص، كانت الأغنية أدعى إلى بعث الأمل، ومن ثم الشعور بالمتعة، وإن كانت تدعو إلى حياة جديدة تنطوي على التفاؤل ونبذ التشاؤم فمن المؤكد ستكون باعثة على المتعة لدى المستقبل.[30]

وتحقق الأناشيد والأغاني كثيرا من الغايات التربوية واللغوية[31]:

- وسيلة محببة في علاج الأطفال الذين يغلب عليهم الخجل والتردد ويتهيبون النطق منفردين.
- الأناشيد الملحنة تدفع الأطفال إلى تجويد النطق، وإخراج الحروف من مخارجها الأصلية.
- تمد الطفل بثروة لغوية وفكرية تعينه على إجادة التعبير.
- تدريب الطفل على حسن الأداء وجودة الإلقاء، وتمثيل المعنى.
- تنمية اتجاهاتهم الاجتماعية بما تشبعه القطع الأدبية من معان سامية في نفوسهم.
- تجديد نشاط الأطفال والترفيه عنهم.

والملاحظ أن الأناشيد تفيد في تعليم اللغة وتنميتها من خلال اكتساب مفردات لغوية جديدة، فمن خلالها تم الحفاظ على بعض المفردات التي كادت أن تندثر، وتنسى، بالإضافة إلى دورها المتميز في تحفيظ الشعر، فالحفظ أكبر عوامل التعليم والتثقيف، وهو وسيلة تحصيل كبير، خصوصا إذا استحسنت طريقته. ومن التجربة أن الشعر أسهل حفظا من النثر، ويزيده التلحين والإنشاد سهولة[32].

وتعتبر أغنية الطفل أحد الملامح الرئيسية في عصر القنوات الفضائية، مما يؤكد أن أغنية الطفل التلفازية من أهم الفنون الفاعلة في تنشئة الطفل لغويا واجتماعيا[33].

والمتتبع للقنوات الفضائية العربية يلمح ذلك الاهتمام بهذا النوع من الفنون، حيث تتسابق القنوات الفضائية وبخاصة الموجهة للطفل في اعتماد الأغنية أو الأنشودة للفت انتباه الطفل إليها.

ويشهد الواقع مثل هذه الظاهرة، والمتمثلة في تعلق الأطفال بالأغاني والأناشيد المشاهدة عبر تلك القنوات، حيث أن للأطفال قابلية في ترديد الأغاني مع عدم وعيهم التام بالأغاني المناسبة وغير المناسبة. المهم أن يرددوا ما طربت إليه أسماعهم.

فبتأمل الواقع يلحظ أن الأطفال يرددون أغنية "نوسو نوسو" بنوع من النشوة والمرح رغم أنهم لا يستوعبون المعنى العام لها. كما أنها تبتعد كل البعد عن المفردات اللغوية الفصيحة، بل تخاطبهم بلهجية مفرطة، إلا أن الأداء الغنائي لصاحبة الأغنية وموسيقاها فيه نوع من الطفولية حيث حاولت المغنية الوصول إلى قلوب الأطفال، بتقمصها لشخصية الطفل البريء، مما جعل الأطفال لا يتوانون في ترديدها والتناغم بها.

وتدور الأغنية على شكل حوار بين الأب وابنته تحاول فيه الطفلة كسب ود أبيها، كي يأخذها إلى الحديقة، أو إلى السينما، وهاهو ذا نص الأغنية:

المغنية (بصوت طفولي): نوسو نوسو بابا.

- أنت يا أحلى بابا.
- وديني المرجيحة.
- ولا السيما يا بابا.
- بابا

الأب: بس يا بنتي بلاش هيصة.

- بنت شقية وعارف ليه.
- عملا لي زيطة وهيصة.
- دلعك دا ما أدرش عليه.

الطفلة: بابا.. نوسو نوسو بابا (بنوع من الدلال)

الأب: بس بلاش شقاوة

- حديك شوكولاطة.

الطفلة: واو دا أنا إيدي واوا

- بابا أنا منك زعلانة
- دلعني أكثر وزيادة
- دلي عليك هداوة
- واوا

الأب: خشي يا بنتي بلاش دوشة

- أخدك سيما وغير وليه
- أصل الجيبة منتوشة
- بابا مفلس حاعمل إيه.

هذه الأغنية ورغم التدني الشامل لها من حيث اللغة والموضوع مع إفراطها في استعمال العامية، وأية عامية (زيطة، هيصة، منفوشة...)، إلا أنها لاقت رواجا واستحبابا وتقبلا من طرف الأطفال، وقد أوردت هذه المقطوعة لا لشيء إلا لأبين فاعلية الأغنية في تثبيت المفردات وطواعيتها على ألسنة الأطفال.

وعلى الطرف النقيض تقف الأنشودة الإسلامية والأغنية الراقية الموجهة للطفل بجنب مع شاكلات الأغنية فارطة الذكر، فالفضائيات العربية لا تبث الرديء فحسب، بل هناك أغان وأناشيد لاقت أيضا نجاحات في عالم الأطفال، وأكسبتهم إلى جانب المفردات اللغوية أحاسيس نبيلة، ومعاني هادفة من خلال لغة بسيطة مفهومة وقابلة للحفظ.

وهذا ما يسجل على الأغاني المرافقة للرسوم المتحركة والتي تعج بها الفضائيات العربية، حيث يعمل القائمون على صبغها وتحميلها معاني سامية بتوظيف لغة مفهومة مع إرداف لكلمات الأغنية موازية للأداء الصوتي لها، لتثبت الأغنية وكلماتها في ذهن متلقيها من الأطفال، وهكذا يتعلم الطفل أربع مهارات في آن واحد:

- أولها الاستماع من خلال الاستماع الجيد لكلماتها.
- الحديث: حيث تكون كلماتها مخزونا له يستعمله في أدائه اللغوي.
- القراءة: من خلال تتبعه للكلمات المكتوبة، وإن لم يكن قراءة فهو استعداد لها.
- الكتابة: هو الحال ذاته، فالتعرف على كتابة الكلمات مع نطقها يسهل عليه عملية تعلمها وإن لم يكن تعلمها فهو استعداد من خلال تحفيزه على الكتابة.

وكما سبق القول إن هناك أمثلة لا تعد ولا تحصى من الأغاني التي تعمل على ترسيخ معان سامية عبرت عنها اللغة بكل بساطة ووضوح يستطيع الطفل المستمع استيعابها وتفهمها مع تقليد متقن لأدائها الصوتي، ومن أمثلة هذه الأغاني أغنية لرسوم متحركة حملت المعاني الإنسانية ما لا يسعه الموضع الذي أتكلم فيه، وأغنية الجنريك جاءت على شكل فكرة عامة بمضمون هذا المسلسل الكرتوني، بمجرد الاستماع إلى الأغنية تتبلور في ذهنك الفكرة وهو الحال ذاته مع باقي أفلام الكرتون المبثوثة من طرف الفضائيات العربية.

وموضوع الرسوم المتحركة المتحدث عنها تدور أحداثها حول أسرة فقدت منبع الحنان "الأم"، ومع انشغال الأب يترك "سامي" صاحب تسع سنين وحيدا يرعى أخاه "وسيم"الصغير الذي لا يتعدى العام الواحد.

تقول كلمات الأغنية:

- أنا وأخي
- شوق يدفعني لأراها
- أمي ذكرى لا أنساها
- طيف أنقى من زبد الأيام أبقى
- أمي أمي أمي
- همساتها أحلى من ناي
- سكنت قلبي
- كلماتها باتت نجواي
- تضيء دربي
- لا تنسى أخاك ترعاه يداك
- لا تنسى أخاك
- لو سرقت منا الأيام
- قلبا معطاء بسام
- لن نستسلم للآلام لن نستسلم للآلام
- لا تنسى أخالك ترعاه يداك
- لا تنسى أخاك

يلاحظ أن كلمات الأغنية جاءت بسيطة مملوءة بالمعاني الإنسانية النبيلة، ومع تكرارها اليومي يحفظها الطفل، وتتكون لديه كمية لا بأس بها من الرصيد اللغوي.

إلى جانب الأغنية الراقية تقف الأنشودة الإسلامية شامخة حيث دأبت بعض الفضائيات العربية على بثها والاهتمام بها، خصوصا الأناشيد الموجهة للطفل، هذه الأخيرة لاقت اهتماما بالغا من طرف الأطفال الذين تجدهم يتفاعلون معها ويسرون بترديدها.

ومن بين الأناشيد التي تستحق الذكر مثلها مثل باقي الأناشيد والتي تعمل على تلقين الطفل الأخلاق الحسنة، وتحبيب اللغة العربية إلى قلبه نجد أنشودة "يا طيبة" التي لاقت نجاحا باهرا عند الأطفال كما لاقته عند الكبار.

وجاءت كلمات هذه الأغنية بسيطة إلا أنها موحية، وتحمل معاني سامية في حب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومدينته.

تقول كلمات الأغنية:

- يا طيبة يا طيبة يا دوا العيانا
- اشتقنا ليك والهوى نادانا
  والهوى نادانا
- نابينا أغلى أمنياتي
- أزورك لو مرة بحياتي
- وبجوارك أصلي صلاتي
- واذكر ربي واتل القرآنا
- - يا طيبة يا طيبة يا دوا العيانا
- اشتقنا ليك والهوى نادانا
  والهوى نادانا
- بشراك المدينة بشراك
- بقدوم الهادي يا بشراك
- فهل لي مأوى في حماك؟
- أتمنى فالنور سبانا نوركم سبانا

فبكلمات جد بسيطة استطاعت هذه الأنشودة أن تعمق حب الرسول وحب مدينته، وتمني زيارتها وعملت الجهات المسؤولة على تأليف أناشيد أخرى على منوال هذه الأنشودة، نظرا للنجاح الذي حققته، فجاءت "يا مكة" و"يا أقصى" تناجي فيها الأناشيد أماكن إسلامية مقدسة، وتقربها إلى قلوب الأطفال لتغرس فيهم قيما إسلامية وطنية بحتة.

ويرى "فخر الدين قباوة" أنه إذا أريد السمو باللغة العربية فلا بد من التشبث بعوامل تنميتها والمتمثلة في[34]:

القرآن الكريم، * السنة النبوية*، * الممارسة العملية*، * الاعتزاز بالعربية، *القدوة الرائدة*.

وفيما يخص تأثيرات المشاهدة التلفازية بين الفاعلية واللافاعلية يرى أديب خضور أن الأسرة هي التي تعمل على تحديد ذلك، فلو كانت الأسرة على وعي تام بأهمية التنشئة اللغوية الصحيحة، وضرورة المحافظة على هويتنا العربية من خلال الحفاظ على لغتنا لرأيت الآباء يوجهون أطفالهم للبرامج ذات المستوى اللغوي الراقي[35].

والمسؤولية لا تقع على الأسرة وحدها بل تشترك فيها الجهات المسؤولة في القنوات الفضائية العربية، ولكن الشيء المسلم به هو أنه لكل واحد خيارات لكن نتائج اختياره تقع عليه وحده دون سواه.

الهوامش

[1]-تكنولوجيا الإعلام في المجال التعليمي والتربوي، ماجي الحلواني، دار الفكر العربي، القاهرة، ص209.

[2]- المرجع نفسه ص233 وينظر الوسائل التعليمية والمنهج، أحمد خيري كاظم، دار النهضة العربية، بيروت، ص179.

[3]- علم الإعلام اللغوي، عبد العزيز شرف ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، مصر، 2000.، ص51.

[4]- "نحو إنتاج برامج تلفزيونية ناجحة للأطفال"، ابتسام أبو الفتوح، الإعلام، ع14، مارس 2002. ص127.

[5]- برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال، أسامة ظافر كبارة، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2003. ص213.

[6]- اللسانيات، سمير استيتية، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2005ص425.

[7]- التعليم عن طريق التلفزيون، كاسيدر هنري، تر: سلام حمادة، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، مصر، 1964. ص265.

[8]-الصفحة نفسها.

[9]- القراءة الحرة للأطفال، محمد رجب فضل الله، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1995، ص80، 81.

1. [10]- التلفزيون الفضائي وأثره على الشباب في الجزائر، بوعلي نصير، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000. ص217.

[11]- "بحث هام عن حب القراءة"، راشد بن محمد الشعلان، من الموقع الإلكتروني: www.alnadi.net/vb/arachive/indix.php. يوم الزيارة: 2006/01/12م

[12]- الطفل المسلم بين منافع التلفزيون ومضاره، محمد عبد العليم مرسي،، ط1، مكتبة العيبكان، الرياض، 1418هـ، 1997 ص 112.

[13]- برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال، أسامة ظافر كبارة، ص214.

[14][14]- الطفل المسلم بين منافع التلفزيون ومضاره، محمد عبد العليم مرسي، ص157.

[15]- "الاتجاهات العالمية الحديثة لبحوث الإيجابية والسلبية للتلفزيون على الأطفال"، سلوى إمام علي ، الإعلام، ع17، أكتوبر / ديسمبر 2002ص257.

[16]- المرجع نفسه، ص253.

[17]- برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال ، أسامة ظافر كبارة، ص216.

[18]- التلفزيون والأطفال، أديب خضور، المكتبة الإعلامية، ط1، دمشق، 1996 ص12.

[19]- "الأسس الفكرية المؤثرة في عقل الطفل"، نذير حمادو، مجلة المعيار، ع7، ص169 وارتقاء اللغة عند الطفل، يوسف مراد، دار المعارف، مصر، 1962، ص151.

[20]- "دور الإعلام في ترقية عقل الطفل، القدوة والقصة نموذجا"، شتوان بلقاسم، مجلة المعيار، ع7، ص187 وتنمية مهارات اللغة، محمد فرحان القضاة، ص226.

[21]- "التلفزيون والأطفال من تجربة التلفزيون السوري"، ماجي حلواني، مجلة المعيار، ع7، ص73.

(22)- المرجع نفسه ، ص74.

(23)- الصورة والإقناع، محمد شمال الحسن، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2006ص120.

(24)- تعليم الأطفال المهارات القرائية والكتابية، عبد الفتاح البجة، دار الفكر، دمشق ،ط1، 2002 ص99.

(25)- "شعر الأطفال الغنائي"، خالد عزايزة، من الموقع الالكتروني:
يوم الزيارة: 2006/04/03م www: adabatfal.com/arabic/modules/php

(26)-" واقع الأغنية العربية الموجهة للطفل"، شويكار خليفة الإذاعات العربية، ع3، 2003، ص131.

(27)-"أغاني وأناشيد الأطفال"، عبد العزيز مختار، من الموقع الالكتروني: يوم الزيارة: 2006/02/20
www.hroof.com/dirasat.anachid.htm

(28)- الصورة والإقناع، محمد شمال حسن، ص217.

(29)- المرجع نفسه218.

(30)-الصفحة نفسها.

(31)-"أغاني وأناشيد الأطفال"، عبد العزيز مختار.

(32)- "ظاهرة الأنشودة في الصحوة الإسلامية"، محمد هيشور، مجلة البصيرة، ع2، رمضان 1418هـ، 1998م، ص256.

(33)- "واقع الأغنية العربية الموجهة للطفل"، شويكار خليفة، ص132.

(34)- المهارات اللغوية وعروبة اللسان، فخر الدين قباوة، ط1، دار الفكر، دمشق، 1999 ،ص86.